السلسلة: الظروف الماديّة والفكريّة للعلوم في المدينة الإسلامية

الفصل 1 | العلمُ والفلسفة في العصر الهلنستيّ المتأخّر

المقال 7 | كليلة ودمنة: من الهند إلى فارس إلى بغداد

ليست كلّ حكايات الحيوان للتسلية فقط. بعضها سافر عبر قارّةٍ وأربع لغات، حاملًا معه فكرةً فلسفيّة جريئة لم يجرؤ كثيرون على كتابتها صراحة.

تعود حكايات «بنچاتنترا» الهنديّة الأصل - مجموعة من حكايات الحيوان ذات الطابع التعليميّ - إلى تراثٍ هنديّ قديم. ولم تصل هذه الحكايات إلى العربيّة مباشرة من الهند، بل عبرت محطّةً فارسيّة أوّلًا: فقد نُقلت إلى الفهلويّة (الفارسيّة الوسطى) في عهد الملك الساسانيّ كسرى الأوّل أنوشروان (حكم 531-578م) - الملك الذي عرفته هذه السلسلة من قبل راعيًا للفلاسفة اليونانيّين الفارّين، وللأكاديميّة الطبّيّة في جنديسابور.

ونُسبت هذه النسخة الفارسيّة إلى شخصيّةٍ تُعرف باسم بُرزويه، الطبيب والفيلسوف الذي قدّم للترجمة بمقدّمةٍ لافتة: يضع فيها أخلاق العقل فوق تضارب أديان الوحي نفسها. وهذه المقدّمة، على جرأتها، لم تصلنا بنصّها الفهلويّ الأصليّ، بل حُفظت فقط ضمن النسخة العربيّة اللاحقة.

ومن الفارسيّة انتقلت الحكايات إلى السريانيّة أوّلًا - تحت اسم «قليلغ ودمنغ» - قبل أن يُعيد عبد الله بن المقفّع صياغتها بالعربيّة، في الكتاب الذي عرفه القارئ العربيّ منذ ذلك الحين باسم «كليلة ودمنة». وبهذا، حملت حكايات الحيوان هذه، في رحلتها، أربع لغاتٍ وثقافات: الهنديّة، فالفارسيّة، فالسريانيّة، فالعربيّة أخيرًا.

فكتاب «كليلة ودمنة» ليس تأليفًا عربيًّا خالصًا، ولا ترجمةً هنديّة مباشرة، بل هو، في صورته التي نعرفها اليوم، خلاصة رحلةٍ طويلة عبرت حضاراتٍ متعدّدة، قبل أن تجد صياغتها النهائيّة على يد ابن المقفّع.

المصدر: مقتبس ومُعَدّ عن فصل "العلم والفلسفة في العصر الهلنستي المتأخر"، بقلم غيرهارد إندرس (Gerhard Endress)، ضمن المجلد الثالث من موسوعة "تاريخ العلم"، الصادرة عن معهد الموسوعة الإيطالية (تريكاني) 2002، بإشراف رشدي راشد. وهو جزء من الموسوعة التي تُعِدّ دار الرّيّان للنشر حاليًا لترجمتها ونشرها بالعربية كاملة.